البعد الجمالي في الموروث الشعبي الشفهي في الفضاء المنجمي: الأهازيج أنموذجا

دة. نادية العساوي
باحثة في الأدب والثقافة والتراث
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين جهة الشرق
وجدة - المغرب

ملخص:

يعد البعد الجمالي للموروث الشعبي الشفهي من الموضوعات التي ترتبط بالتقييم الفني والحكم الجمالي لما يتضمنه من منظومة فكرية متناسقة ترتبط بالمجتمع فكرياً وسلوكياً وتحدد الخطاب الفكري والجمالي للعمل الفني. ينطلق موضوع البحث من فرضية مفادها أن الموروث الشعبي الشفهي بمدينة جرادة يعد المتنفس الوحيد الذي تعبر من خلاله ساكنة المدينة على مكنوناتها وما يخالجها من أحاسيس مختلفة، لكن قوة التعبير وصدق المعاني وجزالة الألفاظ لم تمنع المعبرين من صياغة تعابيرهم في قوالب فنية جمالية، تتميز بإيقاع فني جميل، وجرس موسيقي يشنف الآذان. ويتضمن الإطار النظري للورقة البحثية مبحثين اثنين، يحتوي الأول على المعنى والدلالة في علاقتها مع القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية التي يعاني منها ساكنة المدينة، والثاني على البنية اللغوية، وما يحكمها من قوافي وإيقاع داخلي وخارجي وجرس فني يحدثه تكرار بعض الحروف، تم الاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي وعلى المقابلة الشفهية من أجل جمع وتدوين مجموعة من الأهازيج من ذاكرة بعض المسنين والمسنات الذين يقطنون لساكنة المدينة قصد تناولها بالدراسة والتحليل. وقد اجتهد البحث في تعريف عدة مصطلحات وتحديد علاقتها بالموروث الشعبي الشفهي، كما طرح أهم القضايا التي يناقشها هذا الأخير، وخلص إلى نتائج معينة.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

العساوي، نادية. (2024، نونبر). البعد الجمالي في الموروث الشعبي الشفهي في الفضاء المنجمي: الأهازيج أنموذجا. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 8، السنة الأولى، ص 437-450.

Abstract:

The aesthetic dimension of oral folk heritage is one of the subjects related to artistic evaluation and aesthetic judgment, as it encompasses a coherent intellectual system linked to the societal, intellectual, and behavioral fabric, determining the intellectual and aesthetic discourse of the artistic work. The research topic is based on the assumption that the oral folk heritage of the city of Jerada serves as the sole outlet through which the city's inhabitants express their innermost feelings and various emotions. However, the power of expression, sincerity of meanings, and eloquence of words have not prevented the expressers from crafting their expressions in artistic and aesthetic forms characterized by a beautiful artistic rhythm and a musical tone that enchants the ears.

The theoretical framework of the research paper includes two sections. The first section deals with the meaning and significance in relation to the social, political, economic, and religious issues experienced by the city's inhabitants, while the second section focuses on the linguistic structure, including internal and external rhymes, rhythmic patterns, and artistic tone created by the repetition of certain letters. The analytical-descriptive method was employed, along with oral interviews to collect and document a range of folk poems from the memories of some elderly individuals belonging to the city's population for study and analysis.

The research made efforts to define several terms and clarify their relationship with oral folk heritage, as well as to address the main issues discussed within this context, leading to certain conclusions.

المبحث الأول: مفاهيم

- **الموروث الشفهي:**

تتوارد على الأذهان، آن الحديث عن "الموروث الشعبي"، مجموعة من المصطلحات التي تتداخل فيما بينها، حتى أنه أحيانا، تقاربا وتشابها بينها في بعض القواميس؛ فـ"الموروث"، اسم مفعول من الفعل "ورث"، وهو في اللغة "أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب"[1]. و"(ورث) فلان المال. منه، وعنه (يرثه) وِرْثاً، ووَرْثاً، وإرْثاً، ورِثَةً، ووراثة: صار إليه ماله بعد موته"[2]. و"التراث":"الإرث"[3]، وكذلك "الوِرْثُ والوَرْثُ والإرْثُ والوِراثُ والإراث والتراث واحد"[4]. و"توارَثْناهُ: ورِثَهُ بعضنا عن بعض قِدْماً...وأوْرَثَ الميتُ وارِثَهُ مالَهُ أي تركه له"[5].

فالموروث والتراث، إذن، هو كل ما يخلفه ويتركه الأجداد والآباء (الموتى)، لأبنائهم واحفادهم (الأحياء)؛ سواء تعلق الأمر بما هو مادي أو بغيره، وفي الاصطلاح، "التراث"؛ "عناصر الثقافة التي تتناقل من جيل إلى آخر"[6]. ويقترب مفهوم التراث، هنا، "اقترابا وثيقا من مفهوم الثقافة...كذلك عند علماء الإثنولوجيا والفولكلور الأوربيين مفهوم التراث مماثلا لمفهوم الثقافة. فيوضح سانتيف *(Saintyves)* أن التراث لا يشتمل فقط على ما يقال أو يحكى، وإنما يشتمل أيضا على ما يفعل. وما يظهر للعين..."[7]. ومنهم من يقصره على الشفاهي[8]، ومنهم من يميز بين التراث الشفاهي والتراث الشعبي وغيرها مما يمكن أن ينضو تحت هذا المسمى. و"التراث الشعبي"، عموما، يشمل كل المواد الخاصة بشعب ما أو العناصر التي خلقها هذا الشعب من العادات والمعتقدات والتقاليد والمروي الشفهي، وكل ذلك التراث الثقافي الذي يتم تناقله بالإخبار، والتمييز قائم بين ما يتم تناقله شفهيا، وما لا يتم نقله عمليا، مثل العادات. وهذا الموروث/ التراث، هو الذي يجعل من جماعة بشرية ما

---

[1] - أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام محمد هارون، دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 1423هـ/ 2002 م، ص 109.

[2] - مج. مؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425 هـ/ 2004 م، ص 1024.

[3] - نفسه.

[4] - ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، (د.ت)، 2/ 200.

[5] - نفسه،2 / 201.

[6] - إيه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ت. محمد الجوهري/ حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر: شركة الأمل للطباعة والنشر، ط2، (د.ت)، (ط1، 1972) ص 88.

[7] - نفسه، ص 89-90.

[8] - نفسه، ص 90.

شعبا، فمصطلح "الشعب"، يعني "في الإثنولوجيا عامة الناس الذين يشتركون في رصيد أساسي من التراث القديم..."[1]. و"الأدب الشعبي"، بدوره، جزء من التراث، ويشمل الحكايات بشتى أنواعها، والاهازيج والألغاز والأغاني[2]. وقد منحت لفظة "الشعبي" عدة معان، منها؛ "سعة الانتشار"، و"الناس العاديين"، و"ذوي الأصل الوضيع"[3]، فكان يقصد بـ"الأدب الشعبي"؛ "صور الفن والتسلية التي توجه إلى الناس العاديين"[4]، وتستعمل أيضا، لفظة "الفولكلور" للدلالة على العلم وموضوعه في الوقت نفسه، ويقصد بـ"الفولكلور"، أيضا؛ "التراث الشفاهي التقليدي، وكل ما "يصدر عن الشعب من فنون وآداب وما يمارسه من شعائر ومراسيم، وما ينبثق عنه من عادات وتقاليد"[5].

- **الأهازيج:**

ومفردها "أهزوجة"، وفي المعاجم:"هَزِجَ؛ الهَزَجُ: الخفة وسرعة وقع القوائم ووصفها...، والهزج: الفرح، والهزج صوت مضطرب، وقيل صوت رقيق مع ارتفاع...، وهَزَّجَ: تغنَّى...، والهزج: من الأغاني وفيه ترنُّم..."[6].

وفي المعجم الوسيط:"هَزِجَ؛ هزَجا: تغنَّى، ويقال هزج القارئ في قراءته: طَرَّبَ؛ فهو هزِج...، أهزج الشاعر: نظم في بحر الهزج... الهزجُ: كل صوت في ترنُّم خفيف مطرب..."[7].

- **الجمال:**

"جمُل: حسن خلقه ... فهو جميل، ...والجمال عند الفلاسفة: صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورا ورضا. وعلم الجمال باب من أبواب الفلسفة يبحث في الجمال، ومقاييسه ونظرياته"[8]، كما يقسم جان بيرتلمي التجربة الجمالية إلى مجموعتين من الظواهر حيث يعبر الأولى

---

[1] - نفسه، ص 231.

[2] - نفسه، ص 32-33.

[3] - مج. مؤلفين، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ت. سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط1، سبتمبر 2010، ص 432.

[4] - نفسه.

[5] - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة والتشكيلية، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1413 هـ/ 1991، ص 147.

[6] - ابن منظور، لسان العرب، م. س، ص :390

[7] - مج. مؤلفين، المعجم الوسيط، م. س، ص: 984

[8] - مج. مؤلفين، المعجم الوسيط، م. س، ص: 157

" ظواهر تنبع من حالة خاصة للتأمل: تلك التي توجد لدى الهاو الذي يقرأ قصة، أو قصيدة شعر أو ينظر إلى لوحة أو تمثال، أو يستمع إلى مقطوعة موسيقية، باعتبارها أعمالا فنية أبدعها إنسان ما، بحيث تبعث السرور إلى أنفسنا، وباعتبارها غير موجودة في الطبيعة لأنها من إنتاج عمل بشري، وهكذا يصبح الفن، كما قال بيكون عبارة عن الإنسان مضافا إلى الطبيعة"[1] فالإنسان هنا يمثل كلما تبدعه أنامله، ويتصوره فكره الخلاق.

ومن بين الفلاسفة الذين استعرضوا مفهوم الجمال بشكل شامل يمكن ذكر عدة مدارس فلسفية مهمة:

1. **مدرسة الجمالية الكلاسيكية** :وتشمل أفلاطون وأرسطو، حيث اعتبروا الجمال مفهومًا متعدد الأبعاد يرتبط بالتناغم والتوازن والنسق. كما ركزوا على الجمال كجزء من النظام الكوني والطبيعي.

2. **مدرسة الجمالية الرومانسية** :وقدمت وجهة نظر أكثر إشباعًا عاطفيًا للجمال، حيث ركزت على الشعور والانفعال والخيال والإلهام الذي يثيره الجمال.

3. **المدرسة الإبستيمولوجية** :التي أبرزها كانت في خطابات كانت ومن ثم فريدريش شيلر، حيث اعتبروا الجمالية تجربة شخصية فردية ترتبط بالإدراك والتمتع.

4. **المدرسة النقدية** :والتي أسس لها إيمانويل كانت وفولفغانغ فون غوته، حيث اعتبروا الجمالية كموضوع يتطلب تفسيرًا وتقييمًا فلسفيًا.

يمكن القول إن الجمال حسب قول الفلاسفة يتعدى مجرد الجمال الظاهر ليشمل الجمال الروحي والفكري، وهو مفهوم يتطور وفقا للثقافة والزمان والمكان، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتجارب الإنسانية والفلسفية المختلفة.

المبحث الثاني: دراسة البعد الجمالي في نماذج مختارة من الأهازيج:

من اجل تحديد البعد الجمالي في الأهازيج الشعبية لابد من فهم عميق للعوامل التي يمكن أن تجعلها جميلة ورنانة وممتعة وملهمة. من بين هذه العوامل نذكر:

[1] - جان بيرتليمي، بحث في علم الجمال، تر: أنور عبد العزيز، دار النهضة مصر، ط1، ص: 21

1. **الكلمات والمعاني** :يمكن لاختيار الكلمات وترتيبها بشكل يُحسّن من تدفق الأهازيج ويجعلها أكثر جاذبية ورونقًا. الكلمات التي تحمل معاني عميقة وتلامس القلوب تجعل الأهازيج جميلة وتثير المشاعر.

2. **اللحن والإيقاع** :يسهم اللحن والإيقاع في إضفاء الطابع الجمالي كما يمكن للحن الجميل والملحن بشكل متقن أن يضفي جاذبية إضافية على الأهازيج ويجعلها تعلق في الذاكرة لفترة طويلة.

3. **الأداء الصوتي** :يشكل الأداء الصوتي عاملا مهمًا في جمالية الأهازيج، حيث يمكن للأداء القوي والمؤثر أن يجعل المتلقي أكثر استمتاعا وتذوقا.

4. **الموضوع والمضمون** :يمكن أن يكون الموضوع والمضمون للأهازيج مصدرًا للجمالية، حيث يتمثل في تعبير عن المشاعر الإنسانية العميقة والقضايا الحياتية المهمة.

5. **التقاليد الثقافية** :تعتمد جمالية الأهازيج أيضًا على التقاليد الثقافية والتراث الشعبي، حيث تعكس الأهازيج قيم وعادات وتقاليد معينة تجعلها ملهمة ومحببة للناس.

6. **التأثير الاجتماعي** :قد تكون جمالية الأهازيج مرتبطة أيضًا بالتأثير الاجتماعي، حيث يمكن للأهازيج أن تلهم وتحفز الناس وتجلب السعادة والبهجة لهم.

يمكن تحديد البعد الجمالي في الأهازيج من خلال مجموعة من العوامل المترابطة، تشمل الكلمات، واللحن، والأداء، والموضوع، والتقاليد الثقافية، والتأثير الاجتماعي، وتوازنها وتناغمها يمكن أن يجعل الأهازيج جميلة وملهمة.

مَامَّا هَيَامَّا خَدَّامْ فِي لَاطَايْ وَالْغَبْرَة اقْوَيَّة رَانِي انْسَرَّحْ حَتَّى طَابُو ايْدِيَا

- **على مستوى الأصوات:** نجد الأهزوجة مسجوعة مع تكرار لازمة في بداية الأهازيج؛ (مامّا هيامّا) وتختلف هذه اللازمة مع اختلاف القبائل، حتى إننا نجد في بعض الأهازيج المتن نفسه مع اختلاف اللازمة من قبيلة لأخرى، كما نلاحظ تكرار حرفي الراء والياء.

- **على مستوى التركيب:** بعد اللازمة نجد الأهزوجة تتكون من العناصر الآتية:

اسم فاعل، حرف جر، اسم، حرف عطف، اسم، صفة *** ناسخ حرفي، فعل، حرف، فعل، اسم.

نلاحظ من تركيب هذه الأهزوجة أنها تدل على الثبات والسكون من خلال اعتمادها على الأسماء، قصد الإخبار والوصف.

▪ **على مستوى المفردات:** نجد الكلمات المفاتيح لهذه الأهزوجة هي لاطاي، الغبرة، انسرح، طابو، ونوضحها على النحو الآتي:

لاطاي: مكان في المنجم.

الغبرة: الغبار.

انسرّح: يقوم بتسوية الفحم الحجري ودفعه لينحدر.

طابو: وتعني في اللغة العربية حسب هذا السياق التهب الجلد من كثرة العمل الشاق.

▪ **على مستوى الجملة:** تخبرنا الكوالة على لسان عامل من العمال بصعوبة العمل في المنجم، ومايصيب البدن جراء العمل فيه.

▪ **على مستوى الدلالة:** تتحدث الكوالة على لسان أحد العمال عن العمل في المنجم، وتصف الحالة الجسدية التي أصبح عليها العمال، ناهيك عن الحالة النفسية، وهذه الأهازيج تحمل خطابا نقابيا فقد كانت تعبر عن مطالب العمال والحالة التي يشتغلون فيها، وقد كان العمال يرددون بعضها في نضالاتهم وإضراباتهم التي كانت تطول لأيام عدة.

مَامَّا هَيَامَّا خَدَّامْ فَالْعَشْرَة امْهَوَّدْ وَلّيتْ كِالَغْرَابْ أوَدّي رَاسِي ايْشِيبْ

▪ **على مستوى الأصوات:** نلاحظ وجود السجع في الأهزوجة بتكرار القافية نفسها (/0/00) في الشطرين الأول والثاني، مع تكرار الحرفين (السين والشين)؛ مما يدل على الألم والمعاناة.

▪ **على مستوى التركيب:** تتكون الأهزوجة من العناصر الآتية:

▪ اسم فاعل، جار ومجرور، اسم فاعل، جار ومجرور *** فعل، حرف تشبيه، اسم، اسم، اسم، فعل.

▪ **من خلال هذا التركيب:** نلاحظ هيمنة الأسماء في هذه الأهزوجة مما يدل على الثبات والسكون، ومرد هذا لأن الكوالة تعتمد الوصف والإخبار فقط.

▪ **على مستوى المفردات:** نلاحظ أن الكلمات المفاتيح في هذه الأهزوجة هي؛ العشرة، سكيب، ونوضحها كما يلي:

العشرة: العاشرة، وهنا إشارة لوقت العمل.

سكيب: مصعد، وكان عبارة عن قفص حديد معلق بأسلاك حديدية.

▪ **على مستوى الجملة:** تتحدث الكُوالة على لسان أحد العمال، وتحكي عن معاناته النفسية والجسدية.

▪ **على مستوى الدلالة:** تواصل الكُوالة غناءها على لسان أحد العمال، وتروي في كل مرة معاناته في العمل، ولكن تصف في كل أهزوجة مكانا مختلفا في المنجم، فهنا تصف من يعمل في باطن الأرض ويحتاج للنزول فيما يسمى بالسكيب، مع العلم أن هذا الأخير يمكن أن ينقطع الحبل الذي يحمله، مما يؤدي إلى إصابة من كان عليه بجروح وكسور خطيرة قد تصل إلى الموت، وتشبه في الشطر الثاني العامل بالغراب لأنه أصبح مكسوا بالسخام، وأصبحت بشرته سوداء سواد الفحم الحجري.

أَمْحَايْنِي ويلَا رَيْضَت الْمِينَة نْرَحْلُو نَمْشِيوْ لْغَاشِينَا

▪ **على مستوى الأصوات:** نلاحظ وجود السجع وتكرار بعض الحروف (النون، الميم)، فتكرار حرف النون هنا يدل على أن الكُوالة تتحدث بلسان الجماعة، وتكرار الميم يدل على الألم والحزن الذي تكابده هذه المرأة.

▪ **على مستوى التركيب:** تتكون هذه الأهزوجة من العناصر الآتية:

منادى، أداة شرط، فعل، اسم ///// فعل، فعل، اسم

هذا التركيب يغلب عليه الحركية والفعل، فالكُوالة تتحدث عن عما سيقوم به أهلها في حالة إغلاق المنجم.

▪ **على مستوى المفردات:** فالكلمات المفاتيح في هذه الأهزوجة تنحصر في: "المينة"و"ريضت"في الشطر الأول "غاشينا"في الشطر الثاني، ونورد معاني الكلمات المفاتيح على الشكل الآتي:

المينة: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (mine la) ومعناها باللغة العربية؛ المنجم.

ريضت: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (arrét de) ومعناها باللغة العربية؛ توقفت.

غاشينا: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (le gachis) ومعناها باللغة العربية؛ مجموعة من الناس.

▪ **على مستوى الجملة:** تستهل الكُوالة بكلمة "امحايني" في إشارة للمحن والهموم التي تنغص حياتها، والتي من أهمها توقف المنجم، الذي سيفرض على الناس مغادرة المدينة والرجوع من حيث أتوا.

▪ **على مستوى الدلالة:** بمجرد سماع هذه الأهزوجة، نلمس حجم الحزن التي تكابده هذه المرأة، فطريقة طرحها لمسألة إغلاق المنجم، تكاد تكون سؤالا عن المجهول الذي يتنظر العمال أكثر من أن يكون شرطا (إن توقف المنجم عن العمل)، وجوابه (نعود أدراجنا)، كما تتضمن هذه الكلمات في طياتها تقابلا يتجلى في كون هؤلاء العمال قد قدموا من مناطق أخرى، فمن المفروض أن يجعلهم هذا الأمر يحسون بالغربة والضياع، ولكن هذا الإحساس لم يتملك من كان يسكن المدينة السوداء، وهو ما بددته كلمة (أمحايني) التي استهلت بها الكُوالة كلامها، وهي نداء القريب ولكن المنادى هنا خرج عن مقتضى الظاهر لأنها تقصد به البعيد، فالعودة إلى المكان الأصلي لم يكن بالأمر المرغوب فيه، بل كان من المحن الكبرى التي تؤرق العمال، ومرد هذا للألفة والسكينة التي وجدها هؤلاء في جورة بعضهم البعض، فشكلوا عائلة واحدة توحدها المعاناة، الصبر، البؤس والنضال.

رَاهَا الْمِينَة رَيْضَتْ إِيصَانْصِي وَلِّي تْفُوتُو يَاكْ رَاهْ بِبَانْسِي

▪ **على مستوى الأصوات:** هذه الأهزوجة المسجوعة تتكرر فيها حركات المد والسكون، وبعض الحروف (الياء، السين) ودلالة السين هي الألم والمعاناة.

▪ **على مستوى التركيب:** تتكون هذه الأهزوجة من العناصر الآتية:

ناسخ حرفي، اسم، فعل، صفة ///// حرف، فعل، حرف، ناسخ حرفي، فعل

هذا التركيب نجد فيه توازنا بين الأسماء والحروف والأفعال ما يدل على أن الكُوالة تزاوج بين الإخبار ووصف الحالة التي يعيشها العمال جراء توقيفهم من العمل بالمنجم.

▪ **على مستوى المفردات:**

المينة: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (mine la) ومعناها باللغة العربية؛ المنجم.

ريضت: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (arrét de) ومعناها باللغة العربية؛ توقفت.

إيصانصي: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (licencié) ومعناها باللغة العربية؛ توقيف عامل عن العمل.

تفوتو: تمر به.

يبونسي: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (penser) ومعناها باللغة العربية يفكر مهموما.

- **على مستوى الجملة:** تتحدث الكوالة عن تسريح العمال من طرف إدارة المنجم، والحالة التي أصبح عليها هؤلاء من الحيرة والمأساة.

- **على مستوى الدلالة:** بعدما توافد العمال من كل حدب وصوب، واندمجوا في الحياة الجديدة التي وفرتها مدينة جرادة، يتوقف المنجم ويشرع في تسريح العمال الذين أصبحوا آباء وأرباب لأسر تحلم بمستقبل واعد، فهذا المستجد لم يكن في حسبانهم، وأصابهم بالحيرة والخوف والمأساة، تتزاحم الأسئلة في عقولهم وتتسارع ضربات قلوبهم، فهناك من ينتظر مولودا، وهناك من يريد إرسال ابنه لإتمام دراسته بالجامعة، وهناك من يريد تزويج ابنته، وكل هذا سيستعصي بعد توقف العمل الذي يعني توقف الأجرة وتوقف الحياة... في هذه الأثناء تجد كل العمال في حالة حيرة وسرحان ما جعل الحزن يخيم في أرجاء المدينة.

رَحْلُوا السُّوسِيَّاتْ اهْدَاوْ شَقِّيتْ لَاسِيتِي خَوَّفْ بِالنْهَارْ

- **على مستوى الأصوات:** وجود السجع، وتكرار المد والتضعيف وحركة السكون وبعض الحروف (الراء والسين)، ودلالة حرف السين كما أشرنا سابقا هي الألم والمعاناة.

- على مستوى التركيب: تتكون الأهزوجة من العناصر الآتية:

- فعل، اسم، فعل، اسم ///// فعل، اسم، فعل، اسم

نلاحظ وجود توازي تركيبي بين الشطر الأول والشطر الثاني، ووجود توازن بين الأفعال والأسماء ما يشير إلى أن الكوالة تزاوج بين الإخبار والحكي الذي تعتمده هذه الأفعال.

- **على مستوى المفردات:**

السوسيات: نساء أصلهم من سوس، قدمن مع أزواجهن الذين أتوا للعمل بالمنجم.

لاسيتي: كلمة دخيلة أصلها فرنسي؛ (la city) ومعناها باللغة العربية الحي.

- **على مستوى الجملة:** تتحدث الكوالة عن مغادرة النساء السوسيات وتركهم لمنازلهم بالمدينة، فأصبح حيهم مخيفا.

- **على مستوى الدلالة:** بعدما أغلق المنجم أبوابه، غادر بعض الوافدين عائدين إلى مناطقهم الأصلية، وتركوا المنازل والأحياء فارغة، تعكس الخراب الذي حل بالمدينة، كما كان لأهل

سوس تأثير خاص أكثر من غيرهم، كونهم كانوا يمتهنون التجارة إلى جانب العمل بالمنجم، وهذا ما جعل بقية الساكنة تتردد على دكاكينهم الصغيرة المليئة بالبضائع، فكان لرحيلهم أكبر الأثر على من قرر البقاء ومواجهة المصير المجهول، فأصبحت هذه الأحياء خرابا يثير الخوف بالنهار في نفوس من يتجول به، بعدما كان مكتظا يغمره ضجيج الأطفال وضحكاتهم، وتجمعات النساء في كل مكان.

حَاسِي بْلاَلْ بْعِيدْ وفِيهْ حْبِيبْتِي البْنَاتْ بَزْكَانِي بْغِيتَكْ غِي انْتِي[1]

على مستوى الأصوات: نجد الأهزوجة مسجوعة لتكرار القافية نفسها (/0/0)، مع تكرار حركات المد وبعض الحروف (الباء والتاء)

على مستوى التركيب: تتكون الأهزوجة من العناصر الآتية:

اسم علم، صفة، جار ومجرور، اسم *** اسم، اسم، فعل، أداة استثناء، ضمير

نلاحظ هيمنة الأسماء مما يدل على الثبات والسكون، فالكُوالة غالبا ما توظف الأهازيج للوصف والإخبار.

على مستوى المفردات: الكلمات المفاتيح لهذه الأهزوجة هي؛ حاسي بلال، البنات، بغيتك، نوضحها كما يلي:

حاسي بلال: اسم قرية صغيرة بمدينة جرادة تبعد عن مركز المدينة ببعض الكيلومترات.

البنات: وجود الكلمة في هذه الأهزوجة دليل على أن الكُوال يمرر خطابا رومانسيا، فهذه الكلمة في الأهازيج دليل على الحب والزواج والرومانسية.

بغيتك: كلمة دالة على الحب.

على مستوى الجملة: يتحدث الكُوال عن حاسي بلال حيث تقطن محبوبته التي اختارها واكتفى بها.

على مستوى الدلالة: وجود كلمة حاسي بلال في الأهازيج دليل على أن الكُوالة لم تكتف بموضوع دون غيره في خطابها الفني بل وصفت وناقشت كل المواضيع، وتطرقت لمختلف تفاصيل مدينة جرادة، تاريخها وجغرافيتها، والحية الاجتماعية التي تميزت بها هذه المدينة، وما حاسي بلال إلا جزء من هذه المدينة.

[1] - السيدة عائشة م، ستينية، من قبيلة أولاد عمر، تعيش بجرادة، قابلتها يوم 2024/03/20

جرادة وشْحَالْ نْبغيك أَنَانَا اَلْمْعَذْبَانِي سَاكْنَة فِيكْ أَنَانَا[1]

على مستوى الأصوات: نلاحظ أن هذه الأهزوجة مسجوعة، فلم تتكرر القافية فقط بل هناك لازمة تكررت في نهاية كل شطر.

على مستوى التركيب: تتكون هذه الأهزوجة من العناصر الآتية:

اسم، أداة استفهام، فعل، لازمة *** اسم فاعل، اسم فاعل، جار ومجرور، لازمة.

نلاحظ هيمنة الأسماء مما يدل على الثبات والسكون لأن الكّوالة تعتمد الإخبار والوصف.

على مستوى المفردات: الكلمات المفاتيح لهذه الأهزوجة هي: جرادة، نبغيك، ساكنة، نوضحها كما يلي:

جرادة: المدينة قيد الدراسة.

نبغيك: أحبك

ساكنة: تقطن

على مستوى الجملة: يعبر الكّوال عن حبه لمدينة جرادة، ومرد ذلك لأن حبيبته تسكن فيها.

على مستوى الدلالة: جرت العادة أن يحب المحب المكان الذي تسكن فيه محبوبته، حتى إن التغني بمكان المحبوبة كان مقدمة لا بد منها في الشعر القديم، ونجد الكّوال هنا يربط حبه للمدينة بحبه لمحبوبته التي تسكن فيها.

جِيبُو هَرَّامَة اتْوَاطِي جْبَالْ خَلُّو اجْرَادَة والَوْزِينْ ايْبَانْ

- **على مستوى الأصوات:** نلاحظ أن هذه الأهزوجة غير مسجوعة ولكن سبق وذكرنا أن طريقة الكّوالة في الأداء تجعل المتلقي يعتقد أن الأهزوجة مسجوعة، فهي تقوم بإخفاء بعض الحروف، وغالبا ماتستعمل أرواء متقاربة من حيث مخارج الأحرف.
- **على مستوى التركيب:** تتكون هذه الأهزوجة من العناصر الآتية:

فعل، اسم، فعل، اسم *** فعل، اسم، اسم، فعل

[1] - نفسه.

نلاحظ وجود توازن بين الأسماء والأفعال، مما يدل على أن الكُوالة تُضمِّن هذه الأهزوجة مجموعة من الأفعال جاءت على شكل أوامر.

- **على مستوى المفردات:** الكلمات المفاتيح لهذه الأهزوجة هي: هرامة، تواطي، الوزين، نوضحها على الشكل الآتي:

هرامة: الجرافة.

اتواطي: تهدم وتجعل الأرض مستوية.

الوزين: المركب الحراري.

على مستوى الجملة: تطلب الكُوالة من مخاطبها إحضار الجرافة لهدم الجبال حتى تتمكن من رؤية جرادة والمركب الحراري.

على مستوى الدلالة: نلاحظ أن الكُوالة انتقلت من الإخبار والوصف الذي عهدناه منها، إلى إعطاء بعض الطلبات لمخاطبها، مثل إحضار آلة الهدم لتسقط الجبال وتتضح لها رؤية المعمل الحراري والمدينة بأكملها، في إشارة واضحة لتضاريس المدينة الوعرة، كما فصلناها في الفصل الأول من الباب الأول، فالكُوالة تناولت المدينة بالوصف والتفصيل في خطابها الفني.

خاتمة:

جمال تعبير الناس بالأهازيج والغناء الشعبي ينبع من عمق الإحساس والعفوية التي يتمتع بها هذا الفن الشعبي فهي وسيلة فنية تتيح للأفراد التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم وتجاربهم بشكل مباشر وصادق، وذلك من خلال الكلمات المختارة بعناية والألحان الراقية والأداء بصوت شجي.

تتنوع أشكال التعبير في الأهازيج والغناء الشعبي حسب الثقافة والتقاليد والبيئة الاجتماعية، مما يجعل هذا الفن يمتاز بالقدرة على لمس القلوب وإيصال الرسائل بشكل ملموس ومؤثر. فالعلاقة بين الجمال والتراث الشعبي الشفهي، والأهازيج خصوصًا، تعبر عن تفاعل عميق بين الإنسان وبيئته وتاريخه وثقافته وهويته. بدءًا من الجمال اللغوي في الشعر والأدب، إلى الجمال الصوتي في الأهازيج والألحان، والجمال الفني في الفنون التقليدية والحرف اليدوية.

بالنسبة للأهازيج، فهي تعبر عن تعبير شفهي يترافق مع الموسيقى والإيقاع، وتمتاز بالبساطة والعفوية والقدرة على نقل العواطف والمشاعر بشكل مباشر. فهي وسيلة فعّالة لنقل المعاني

والقيم والتقاليد من جيل إلى جيل، حيث تصبح جزءًا لا يتجزأ من الثقافة الشعبية، كما استغل ساكنة جرادة هذا المتنفس للتعبير عن مكنوناتهم وعن حبهم وارتباطهم بمدينة جرادة وبالعمل في المنجم الذي أصبح جزء من هوية الجراديين.

لائحة المصادر والمراجع

- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام محمد هارون، دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب، 1423هـ/ 2002 م.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، (د.ت)، 2.
- إيه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ت. محمد الجوهري/ حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر: شركة الأمل للطباعة والنشر، ط2، (د.ت)، (ط1، 1972).
- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة والتشكيلية، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1413 هـ/ 1991.
- مج. مؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425 هـ/ 2004 م.
- مج. مؤلفين، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ت. سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط1، سبتمبر 2010.
- جان بيرتليمي، بحث في علم الجمال، تر: أنور عبد العزيز، دار النهضة مصر، ط1.
- السيدة زهور ك ستينية عاشت فترة طويلة بجرادة ولم تغادرها بعدما أغلق المنجم أبوابه، التقيت بها يوم 2024/03/20
- السيدة مسعودة ب، تنتمي لقبيلة أولاد سيدي علي المعروفة بارتباطهم الشديد بالأهازيج كشكل من أشكال التعبير، وكجزء من أجزاء الهوية، التقيت بها يوم 2024/03/20
- السيدة عائشة م، ستينية، من قبيلة أولاد عمر، تعيش بجرادة، قابلتها يوم 2024/03/20